

## تقديم

بقلم: فضيلة الأستاذ محمد فتح الكوش

نحن نرى أن الماضي والحاضر والمستقبل أبعاد مختلفة لحقيقة واحدة. وعندما نشعر بأبعاد الزمن هذه ونحس بمدافقتها، نعيش فيها معاً، وتدوق رحيقها في آن واحد. ولا سيما الماضي، فإننا حينما نرى آثاراً تذكرنا بجذورنا الروحية وهويتنا الأصيلة تتحرك لدينا الخواطر والتداعيات ويزداد إحساسنا بالماضي عمقا، فتمتلئ أشرعة حاضرننا برياح العزم والجهد والثبات، فنبحر نحو آفاق المستقبل الباسم بالأمل.

أجل، ما أن نثر على بعض الآثار العزيزة على قلوبنا من الماضي الجميل حتى نقبل عليها فرحين، وتناولها كما نتناول باقة من الورد، نشم رائحتها الزكية، ونملأ أعيننا بحمالها، ونقبلها بإحلال عميق، ونجعلها تاج رؤوسنا؛ فإذا بها تثير في نفوسنا خواطر من الماضي البعيد، فتتجلى صفحات التاريخ أمام أعيننا ناصعة، ونرنو إلى مشاهدتها الجميلة حالمين، ونشعر كأننا نعيش الأيام التي كانت تلك الآثار فيها ملء العين والقلب، وموضع التقدير والتبجيل. ويبلغ بنا الإحساس بتلك الأشياء مبلغا تترأى لنا فيه وكأنها أحياء تتحرك في سكون عميق وتنفس في صمت. فنقرأ في ملامحها معاني عجيبة ودلالات خفية فنحبها... نعم نحبها وكأنها فلذة أكبادنا وجزء من أرواحنا. وكلما رأنا مقبلين عليها بصدق وإخلاص أزاحت لنا الحجاب وفتحت لنا الأبواب وكشفت لنا عن السيل المؤدية إلى أروع التصورات والرؤى وأحمل الخيالات والأحلام، ودعتنا إلى عصورها ضيوفا أعزاء مكرمين. فنلتقي في مكان واحد، نعانقها معانقة الصديق لصديقه والحيب لحيبه، وتعانقنا بدفء غامر، ويمتلئ المكان بمعان سامية عذبة، فنسرع إلى ارتشافها كأنها ماء الحياة، ونتنفسها كأنها أنفاس الربيع.

أجل، كلما أقبلنا عليها بقلوبنا، شعرنا وكأن رائحة شذية كالمسك والنعير تسري في مسارب نفوسنا، وهي نفس الرائحة التي ينتشر عبقها الأصيل في المكان عندما تُفتح صناديق جداتنا القديمة قدم الدهر. ويخيل إلينا عندئذ أننا في عالم عجيب من السحر، وأن تلك الآثار التاريخية تتحدث إلينا بأفصح ما يكون البيان، وتهمس إلى قلوبنا أسمى المعاني، دون أن تستخدم حرفا أو كلمة أو صوتا يستخدمه بنو الإنسان، فإذا بنا في نشوة غامرة لا نريد مفارقتها أو براحها.

وليست قيمة هذه الأشياء فيما تؤديه من منفعة عملية في الواقع، كما هو الحال بالنسبة لبعض الأشياء التي توزن قيمتها بميزان المنفعة الآنية؛ إنما قيمتها في المعاني العميقة التي تذكر بها وتخبئها في طياتها وتشير إليها وتدعو لها. ومن ثم عندما ننظر إليها بعيوننا، ونتحسسها بأيدينا، نشاهد عليها إشارات من معتقداتنا السامية وخطوطا من ماضينا المجيد، فنبتسط أساريرنا، وتنشرح قلوبنا، ونحطم قيود زماننا الضيق محلقيين في أجواء فسيحة وأمداء رحيبة فوق الزمان.

كلما نظرنا إلى تلك الآثار التاريخية التي أهلت في ناحية من نواحي بيوتنا، أو ملأت أرجاء متاحفنا، تراءت لنا الآمال التي حملتها النفوس سابقا، والرؤى التي احتيات وراء حجب الماضي، وإذا بنا نشاهد الأيدي وهي تلامس الآثار العزيرة بلطف، والأنوف وهي تشم رائحتها بعشق، وإذا بنا نراهم يتحولون بيننا أو تتحول بينهم في مكان واحد، فتحقق قلوبنا لهذا الإحساس.

إن هذه الآثار التاريخية مرآة صافية تحدثنا عن معتقدات أجدادنا النقية وإيمانهم العميق وثقافتهم المتسامحة وقيمهم العالية. فنقرأ في وجوه هذه الذكريات العزيرة أخلاق أسلافنا وأحلامهم وآمالهم؛ هؤلاء الرجال الذين نسكب اليوم دموعا غزيرة لغيابهم، ولا نجد ما نسري به عن همومنا سوى ذكرياتهم.

فما بالك إن كان بين هذه الذكريات "البردة النبوية الشريفة" التي تذكرونا بفخر الإنسانية عليه الصلاة والسلام، وبكعب بن زهير بن أبي سلمى ؓ صاحب قصيدة "بانت سعاد"، أو تذكرونا بسلاطين المسلمين الذين احتفظوا بها في أحمل مكان من قصورهم طوال قرون وقرون بإجلال كبير وتقدير عظيم حتى حطت رحالها في ديارنا؛ أو كان بينها اللواء الشريف "العقاب" الذي لازم رسول الله ﷺ طوال رسالته المباركة؛ أو كان بينها شعيرات من لحيته ﷺ المباركة والتي تنافس الصحابة الكرام فيما بينهم لكي لا يضعوا شعرة واحدة منها، وقصاصات شعره المبارك التي تناقشتها الأيدي قرنا بعد قرن منذ عصر السعادة الأغر إلى يومنا هذا، وتناولتها القلوب حبلا بعد حبيل كأنها باقات ورد حبيبة، وسحلتها أيما تحيل؛ أو كان بينها السيف المبارك الذي كان صاحب العمامة والقضيب ﷺ يتقلده في جميع الغزوات ولكن دون أن يؤذي أحدا أو ينلطح بدم أحد؛ أو كان بينها رباعية السعادة التي فارقت أخواتها من اللائئ المنتظمة في الغم المبارك كعقد الحمان، حراء ملامسة حصاة طائشة انطلقت حيا في ملامسة الياقوت أثناء إحدى الحروب؛ أو كان بينها العصا العزيرة التي كان يحملها صاحب العصا ﷺ؛ أو كان بينها القوس المبارك الذي ما رمى به عليه الصلاة والسلام سهما نحو إنسان في حياته السنوية إلا مرة واحدة، وذلك ناحية رجل أتى بعبه قتله ﷺ، فاستهدف القوس الشريف منه غير مقتل؛ أو كان بينها نقش "القدم الشريفة" الذي تسابق سلاطين الإسلام وملوكه ليتوجوا به رؤوسهم...

وبالقرب من هذه الذكريات الميمونة كلها قدر إبراهيم ؑ، وعصا موسى ؑ، وعمامة يوسف ؑ، والسيف المهيب الذي صنعه داوود ؑ بنفسه، والسيف المباركة العائدة إلى بعض الصحابة الكرام والعشرة المبشرين بالجنة، والمصحف الشريف الذي كان يتلوه سيدنا عثمان ذو النورين أثناء استشهاده...

إضافة إلى بردة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وقلنسوة أويس القرني ؓ، وتاج الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومحافظ الحجر الأسود الذهبية والفضية، وميازيب الكعبة الذهبية... أجل، ما بالك إن كان بينها أمثال هذه الودائع المباركة والأمانات المقدسة التي لا يعادل مُلك العالم كله قيمة واحدة منها. أجل، كل وديعة من هذه الودائع تثير في النفس ذكريات وخواطر كثيرة، إذ تحمل معاني حليلة، وقدرًا عظيمًا من الرفعة والسمو. فمن بحث لواحدة منها عن نظير، أو نقب لها في البلاد عن مثيل فلن يجد لها نظيرا ولا مثيلا، فأنى له أن يقدر ثمنها أو قيمتها محتمة.

وهناك أمر آخر لا يمكن أن نجد له مثيلاً، وهو هذه العناية الخاصة التي أبدتها أبناء أمتنا الأوفياء سلاطين ووزراء وعلماء وشعباً من اليوم الأول الذي شرّفت فيه أراضينا الطيبة. ففي اليوم الأول، ما أن حطت الأمانات الشريفة رحالها في إسطنبول حتى خصص لها السلطان أحمل مكان في قصره، وأحلّها إحلالاً منقطع النظير حيث سمّى الجناح الذي نزلت فيه ضيفه كريمة "دائرة برودة السعادة"، وملاً أركان الدائرة بنور قرآني فياض وحيوية إيمانية سامية من خلال تلاوة أفضل الحفاظ للقرآن الكريم بأصواتهم الندية... ومن ثم قدم نموذجاً حياً باهراً في حب النبي والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصحبه الكرام.

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا المكان الطاهر، أي دائرة برودة السعادة أو جناح الأمانات المقدسة، ملجأ يأوي إليه المتيمون بحب رسول الله ﷺ باحثين عن الدفء والسكينة، متنفسين فيه أنفاس الربيع، مرتشفين ماء الحياة. نسأل المولى عز وجل أن يدكي هذا الحب في القلوب فتستمر صلة المحبين بهذه الدائرة المباركة إلى الأبد.

ولا يصح أن ننظر إلى الأمانات المباركة والزخارف الموجودة في هذا الجناح الميمون كأنها أشياء قديمة مزينة عادية لا تحمل أي معنى. أبداً... إذ أن الجناح برمته، بزخارفه التي تزين الجدران ومفتحاته الموضوعه هنا وهناك بعناية، يبدو للناظر الذواق كحديقة فيحاء صُممت تصميماً فنياً دقيقاً، ونُثرت عليها أزهار بديعة الجمال. لقد صممت الخطوط والأشكال الفنية بتناسب عجيب مع روح المكان إلى درجة تُشعرك وكأن كل شيء هنا مُخطّط له مسبقاً تخطيطاً شاملاً من قبل يدٍ علوية. كل شيء هنا في موضعه المناسب، وهناك تناغم بين المكان والأشياء، بحيث لن تجد النشوة التي تحس بها والرائحة التي تشمها هنا في متاحف قديمة أخرى. إذ ما أن تلج الجناح المبارك حتى تشعر بأنك دخلت خلوة خاصة في عالم غير عالماً، وأجواء غير أجواننا، وجاورت ربانيين مقربين إلى الله سبحانه، ففرقت في سحر المكان وما أردت مغادرته أبداً. أجل، في هذه الدائرة التي تشع نورا، كلما أطل الإنسان إلى وجوه تلك الآثار التي لا تقدر بضمن، رأى كأن الزمان الذي يتدفق كالنهر في الخارج قد انكمش وتقلص وأدخل في فانوس قديم، ووضِع في زاوية من زوايا الحجرة المباركة؛ وحينئذ ينحذب الإنسان إلى سحر المكان ويتشبي بعدوبة روحانيته، ويدوب في بحر من الجمال الوردية السامي.

إن الإنسان الذي يوقف إلى استنشاق رائحة الجدران، واستشعار الروح الذي تلبسه المكان بحواس قلبه، يسمع أحمل الألحان الشعرية، ويتسامى على طبيعته وكأنه غارق في عالم من الأحلام؛ وتفتح في جنان قلبه أزهار من المشاعر المتنوعة التي تسحر الناظر بألوانها وتسكبه بعبقها الطاهر الشذي؛ فيشعر بنشوة عميقة وقد سرت في كيانه كله، وتطيع البسمة على شفتيه، ويمتلئ صدره بأنفاس الفرح المقدس، ويقول "لا شك أن هذا المكان صمّمته أيدي الملائكة، وهنا يكمن سر هذه الحاذية وهذا السحر".

إن الفارس الذي يشد رحاله إلى الخواطر التي تثيرها الأمانات المباركة في إطار هذه المعاني يرفرف نحو آفاق عجيبة، ويشعر بأنه يعيش في زمان آخر غير زمانه، وفي حياة أخرى غير حياته، وفي

مكان آخر غير هذا المكان، ويبدو له كأن زمانه الضيق ومكانه المحدود قد انفتحا عن زمان ومكان آخر. نعم هنا لا ينفع إلا الصمت... إذ السالك ما أن يرمي بنفسه في بحار الصمت، ويرفع أشرعتة لرياح الخواطر والذكريات حتى يحد نفسه مبحرا في آفاق شاسعة من الشعر الحميل، مصغيا إلى الدوي الصامت لأحداث ووقائع لا يسمع صداها إلا هو. ويتمثل كل أثر من الآثار المباركة وكأنه شخصية تاريخية ملؤها الدفء والحياة. إن كل شيء، حوله في هدونه العميق صديق مخلص قد فتح ذراعيه ليحتضنه بحب وحنان. ويخيل إليه لحظة أنه لو خطا خطوة صغيرة أخرى سيدلف إلى الزمن الذي وجدت فيه. وإلى أن يوقفه أحد من هذه الرؤيا الحميلة يبقى مستغرقا وسط هذه التحليات السامية والمشاهدات الرفيعة.

إن أبناء أمتنا الأوفياء قد عرفوا الأمانات المقدسة بهذه الأبعاد والمعاني الكريمة، وفهموها بهذا الفهم، فوقها حقها من التقدير والإحلال.

وما أن لاحت ودبعة من تلك الودائع في آفاقنا حتى هبتت مكنون حينا لدينا الحيف فأسرعنا إلى عالمه المضيء مرة بعد أخرى عبر القرون. ولقد كنا في كل نظرة إليها نحدد صلتنا بهؤلاء العظماء الذين تشير إليهم، ونحس بحلالهم في أعماق قلوبنا من جديد. وحتى في الفترات التي أصيبت فيها هويتنا الروحية بحروح، وترزعزت مشاعر التحيل للقيم الدينية... حتى في تلك الفترات لم تتأثر مكانة الأمانات المباركة في قلوبنا وظلت موضع احترام الجميع وتقديرهم دائما.

هذا، وبين أيدينا كتاب يتيح لنا فرصة الولوج إلى عالم الأمانات المباركة متى شئنا؛ والتحليق في أمجاد ماضينا العظيم مع كل صفحة نقلبها من صفحاته؛ وترتيب الرحلات إلى عصور أسلافنا الذين تدفقوا كأنهار من الأنوار في سبيل نشر النور والضياء في كل أرجاء الأرض؛ ألا وهو كتاب "آثار الرسول في جناح الأمانات المقدسة في متحف قصر طوب قابي بإسطنبول". ونحن على يقين بأنه في كل فقرة من فقراته أو صورة من صورته سيتحدث إلى القلوب المنتهجة بكلام عجيب، وبهمس إلى النفوس الموصولة بجزورها الروحية بالحنان وترنيمات ساحرة. وليت شعري ما هي الإحياءات البليغة التي سيلقيها في أعماق أعماقنا...

أنقدم بحزيب الشكر إلى السيد حلمي أيدين الذي أهدى هذه الموسوعة الثمينة إلى مكتبتنا الثقافية؛ مع إيماني العميق بأنها ستلعب دورا مهما في أن نحس بنضات قلب ماضينا المجيد، ونضع البرنامج تلو البرنامج والخطة بعد الخطة مع النشاط الحثيث لاستثمار وقتنا الحاضر، وننطلق نحو مستقبل زاهر ينبض بالأمل. كما سيكون لها أثر كبير في خروجنا من أزماننا المعقدة كلما أصغينا إلى نعمات الماضي الصامتة، وتكون لنا رفيقا وفيا في طريقنا الطويلة الملتوية، وبردا وسلاما علينا في صحرائنا الموحشة. وأهني دار النيل للطباعة والنشر التي بذلت كل ما في وسعها لإعداد الكتاب للنشر، وكذلك السادة الأفاضل طلحة أوغورلو إيل، وأحمد دوغرو، وأنكين جيفتجي، ومراد عربجي وإخوة أعزاء آخرين قدموا جهودا كبيرة في إخراجه وإيصاله إلى القارئ الكريم، ومن الله التوفيق.





## مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جزيل عطائه، وأشكره شكر المعترف بمتننه وآلاته، وأصلي وأسلم على صفوة أنبيائه، وآله وصحبه وأحبابه.

وبعد، فإن محبة الرسول ﷺ ملأت قلوب الصحابة الكرام، واستولت على مشاعرهم، وحررت منهم مجرى الدم في العروق؛ فبذلوا الجهد من أجل دعوته، وفدوه بأموالهم وأرواحهم؛ وإذا دخل عليهم تمثلوا له قياماً، وإذا جلس تحلقوا حوله لحاماً، لا يفارقونه إلا لماماً، ولا يحولون نظرهم عنه أبداً. ينصتون إلى أقواله ويتابعون كل أفعاله كي لا يفوتهم منه أدنى شيء، فضبطوا عنه أحكام دينهم وطبقوها في كل أعمالهم وشؤونهم. ومن شدة حبه لهم حرصوا غاية الحرص على أن يتبركوا بقربه ويتنافسوا على امتلاك ما كان من حاجياته، كلوانه الشريف وسلاحه الذي تقلده، وكسوته التي ارتداها، ورباعيته التي كسرت في معركة أحد، وشعر رأسه المبارك ولحيته الشريفة، وعصاه التي كان يتوكأ عليها، وقدحه الذي شرب به الماء واللين، حتى نعله الذي كان يلبسه... نعم، احتفظوا بتلك الأشياء كلها تبرُّكاً وذكرى طيبة منهم وللأجيال التي تأتي على مر الدهور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا أمعنا النظر في كتب الحديث الشريف نجد أنه ﷺ أذن لهم بهذا الصنيع، ولم يعترض على أي أحد منهم، وأنه صمت عندما تزاحم القوم على قطرات وضوئه، وعلى قطرات عرقه العطر الذي كان يتصعب من بدنه الطاهر، وحتى بردته الشريفة التي أهداها إلى كعب بن زهير ؓ، والبردة الأخرى التي أرسلها مع بعض أصحابه إلى أويس القرني ؓ والمحفوفة اليوم في مسجد "الخرقة الشريفة" بإسطنبول، وقصاصات شعره عليه الصلاة والسلام أثناء حجة الوداع... أجل، كل هذه الذكريات الجميلة حرص الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين على حفظها أشد الحرص.

كما تم الحفاظ على آثار أخرى للرسول ﷺ والأنبياء العظام عليهم السلام، إضافة إلى مقتنيات للصحابة الكرام، وأخرى لعظماء الإسلام تداولتها الأيدي جيلاً بعد جيل؛ وذكريات أخرى ادخرها الخلفاء

والأمراء في مختلف العصور، واعتبروها رمزا للخلافة والحكم؛ وذكريات تم وقفها للمساجد وتكايا الطرق الصوفية والمؤسسات الخيرية لتكون وسيلة تخفيف نار الشوق الملتهبة في قلوب العاشقين لرسول الله ﷺ.

وكتابتنا هذا بتميز عن كتاب "الأمانات المقدسة" للسيد تحسين أوز الذي صدر عام ١٩٥٣ والذي احتوى على صور فوتوغرافية باللون الأسود والأبيض، بأنه أشمل وأضحى كتاب يصدر في هذا الموضوع منذ ذلك الوقت حتى اليوم. كما أن معظم الصور التي توجد في هذا الكتاب سيرها القارئ هنا لأول مرة، إذ أنه لم يحظ كتاب آخر بعرضها إلى اليوم. وقد تم أثناء إعداد الكتاب تتبع أكثر من ٦٠٠ أثر من الأمانات المباركة وقراءة بطاقتها الواحدة بعد الأخرى للوصول إلى المعلومات السليمة عنها. وحدير بالذكر أن الكتاب يتميز بعرضه بعض الآثار النبوية لأول مرة مثل العليين السعديين للنبي الأعظم ﷺ والقدح الشريف، وهو ما يدل على الكمية الهائلة التي يتضمنها متحف قصر طوب قابي من الأمانات المباركة والذكريات الحميلة.

نرجو لهذا الكتاب الذي نوقن أنه سيملاً فراغاً كبيراً في موضوعه أن يكون وسيلة خير للأمة الإسلامية وأن ينال القبول والرضى، وهي رغبة طالما تمنيتها. كما أغتنم الفرصة فأضرع إلى الله تعالى أن يتغمد برحمته ورضوانه جميع أرواح الذين بذلوا جهودهم في حفظ الأمانات المباركة على مدى الأزمان سواء في جناح برودة السعادة في قصر طوب قابي أو في أماكن أخرى.

ولا أنسى أن أقدم جزيل شكري لكل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب، ومنهم الصديقان العزيزان الدكتور سليمان برك، وشامل قوجور، والكاتب الباحث طلحة أوغورلو إيل. كما أشكر جميع المسؤولين في دار قنات، وبالأخص السيدين الكريمين أنكين حفتحي ومراد عربجي اللذين سهرا على تصميم الكتاب وإخراجه بصورة فنية رائعة. كما أشكر السيدة فيليز جاعمان مديرة متحف قصر طوب قابي، والسيد بهادير طشقين الذي قام بعملية التصوير بصورة دقيقة وزملائي الآخرين في متحف قصر طوب قابي.

وأخص بالذكر والشكر الجزيل زميلي وصديقي الكاتب والباحث السيد أحمد دوغرو الذي قام بتحرير الكتاب باذلاً كل معلوماته التاريخية والفنية بسخاء وتواضع، إضافة إلى السيد محمد فاتح جان صاحب مجلة التاريخ والفكر ورئيس تحريرها الذي أتحفني ببحوثه ومساعدته الكريمة. وأدين بالشكر إلى والدي وأستاذي السيد عبد الرحمن أيدين ووالدتي السيدة ملححات أيدين، وزوجتي وزميلتي السيدة إقبال أيدين، وأولادي نازليهان وأوغوزهان لتشجيعهم المعنوي ودعمهم المتواصل.

وإذ أحتم كلامي أتمنى أن يملأ كتابنا هذا فراغاً في تاريخ الفن الإسلامي ويسهم في تسليط الأضواء على جوانب مهمة في ماضي الأمة الإسلامية ويساعد الباحثين في مجال الفن الإسلامي على تطوير بحوثهم في هذا المضمار. والله ولي التوفيق.

حلمي أيدين

obeykhanadi.com



